

الأحد 2010-08-08

1073 - لعبة: "نعم.. ولكن" فى السياسة والحب!

تعتة الوفد

أنهت مقال الأسبوع الماضى بمثالين "كنظام" خطب المسؤولين عندنا، تلك الخطب التى حلت محل خطب العرش أحيانا، وعلى الرغم من أننا نستعمل أسلوب "نعم ولكن" فى حياتنا اليومية بشكل عادى وغالب، إلا أننا لا نسميه "العبة" إلا إذا بولغ فى استعماله لأغراض التعمية والتمويه، ليس فقط على غيرنا وإنما على أنفسنا أيضا، صياغة التعبير "نعم... .. و"كن" "كلعبة نفسية" هى استعارة من الألعاب التى تمثلها (مبنى دراما) فى العلاج النفسى بوجه خاص. مناقشة اللعبة من هذا المنطلق لا تعدو أن تكون كشفا لنوع من "الدفاعات النفسية" (الميكانيزمات) واستعمالها فى العلاج أصبح طريقا أقرب لفهم دخيلة النفس، بعيدا عن التفجير، والتداعى الحر، والتنفيث... إلخ، (دون الإقلال من أهمية كل ذلك فى سياقات علاجية أخرى).

لعبة "نعم... ولكن" التى استعملتها فى المقال السابق، وسوف أزيدها تفصيلا فى هذا المقال وردت أصلا بهذه الصفة "لعبة" فى كتاب بعنوان: "الألعاب التى يلعبها الناس" Games People Play لمؤلفه "إريك بيرن"، وهو صاحب نظرية التحليل التفاعلاتى لفهم تركيب النفس البشرية، وهى نظرية - برغم بساطتها، وبداياتها الخدسية - تجاوزت التحليل النفسى التقليدى بشكل أو بآخر، هذا الكتاب سجلت أرقام توزيعه ما جعله يدخل سلسلة الكتب "الأكثر مبيعا" فى أمريكا، فى هذا الكتاب قدم إريك بيرن عددا من آليات التعامل فيما بين الناس مع بعضهم البعض فى الحياة العادية، تحت اسم ألعاب نلعبها مضطرين أو مختارين لتسير الحياة فيما بيننا ونحن أقل عزبا، وهى تستعمل بشكل لاشعورى فى الأغلب، ولم يوص إريك بيرن برفض ممارسة مثل هذه الألعاب، ولا هو صفق لها على أنها الأسلوب الأمثل.

هذه اللعبة المسماة "نعم.. ولكن" نحن نستعملها كآلية مضللة حين نريد أن نبيع المواقف، أو أن نعفى أنفسنا من الوفاء بوعدها، أو لنخدع المخاطب عن حقه بشكل تسويفى،

أو لنتهرب من الجسم... أو لنخدع أنفسنا ونحن نخفي خيبتنا البليغة..إلخ. هذا النوع من الاستعمال هو ما حذقه الخطاب السياسي الرسمي مؤخرا بشكل ذكى، ثم بالغ في استعماله مع مضي المدة بشكل أقل ذكاءا، ثم راح يستعمله بشكل مسطح مفضوح، ثم بشكل مستهتر استخفافا بعقولنا (نحن المتلقين)

فيما يلي أمثلة لهذا الخطاب عليك انت أن تضعها على متدرج ذكاء السلطة كما تشاء: نبدأ بالمثالين الأول والثاني كما وردا في المقال السابق، ثم نكمل مباشرة:

1. **"نعم"** الديمقراطية أحسن حاجة، **"لكن"** لا ينبغي أن نترك الخبل على غاربه للمهرجين بلا مسئولية ولا برامج.

2. **"نعم"** لا بد من تداول السلطة و**"لكن"** من يدري ما ذا سوف يحدث للاستقرار الذى نعلم به جدا تحت لواء هذه السلطة جدا.

3. **"نعم"** إن هامش الحرية محدود فعلا، و**"لكن"** إن شاء الله بإذن الله سوف يتسع رويدا رويدا على شرط ألا يزحزحنا اتساعه من أماكننا حتى لا نفتح الباب للفوضى.

4. **"نعم"** لا توجد أحزاب معارضة قوية تستحق أن توضع في الميزان ، وهذا يجعل الديمقراطية عرجاء، تسير بساق واحدة، و**"لكن"** أية معارضة ينبغي أن تُلزم بقواعد الأدب والحجل، لأن الكبير هو الكبير، وكل ما يعمله الحزب الوطنى هو من وحيه وتوجيهاته، وهو لصالح الشعب وبالتالى على سائر الأحزاب أن تقتدى به جدا، تحت لافتة المعارضة، لامانع.

5. **"نعم"** لا بد أن نعقد الانتخابات تلو الانتخابات، فهذا ألف بلاء الديمقراطية، و**"لكن"** لابد أن تسمح نتائج هذه الانتخابات - بأية طريقة- بإتمام هذه الإنجازات الجارية بواسطة من بدأها.

6. **"نعم"** لكى يكون الحزب حزبا لا بد أن ينزل للناس ، عامة الناس فى الشارع، وأن يقنعهم ببرامج محددة، حتى يستجيبوا له فعلا ، فينتخبوا - إذا شاؤوا وبمنتهى الحرية- البرنامج البديل، وليس فقط الشخص البديل، و**"لكن"** ينبغي ألا يخرج أى برنامج لأى حزب عن الثوابت والمقدسات التى أقرها النظام الحاكم بمؤسساته الأمنية ، والدينية، والثقافية، والاقتصادية، والفنية، ليمثل هوامش مفيدة على المتن الناجح الذى يجرى، وذلك لأن النجاح هو أهم مؤشر لاستمرار النجاح!!

7. **"نعم"** إن الفساد على أذنه ، حتى أصبح هو القاعدة، و**"لكن"** الفساد موجود فى كل مكان فى العالم وهذه هى ضريبة الحياة المعاصرة

8. **"نعم"** إن التوريث مرفوض من أصغر ناظر مدرسة حتى أكبر رأس فى الدولة ، فمن غير المعقول أن يورث ناظر مدرسة نظارة المدرسة لابنه وهى فى سنة ثالثة إعدادى، و**"لكن"** لكل

قاعدة استثناء، ولا يجوز لهذه القواعد الفرعية أن تخالف المبادئ الدستورية العليا، وتحرم أى مخلوق مهما كانت قرابته لأى صاحب سلطة من الترشح لأكبر منصب فى حدود ما يسمح به الدستور، خصوصا وأمريكا ومنظمات حقوق الإنسان الدولية تقف لنا بالمرصاد ضد حرمان أى فرد من أى حق مع التأكيد على هذا الحق بالذات.

9. "نعم" الأسعار أصبحت أكثر التهايا من أن توصف بأنها نار مشتعلة، ولكن لا أحد يموت جوعا فى مصر مقارنة ببلاد أخرى فى أفريقيا وآسيا، الناس فى مصر شطار يدبرون أمورهم بكل الطرق من الخلول الذاتية ويواصلون حياتهم برغم كل شئ، ولا ينامون بغير عشاء.

10. "نعم" الطبقات الأفقر هى الأولى بالرعاية و"لكن" الطبقات الأكثر ثراء هى الأقدر على تحريك الاستثمار وإنعاش الاقتصاد وإنشاء الوظائف التى يشغلها أبناء الشعب. ولهذا لا بد ان نبدأ برعاية هذه الطبقات القادرة لترعى بدورها الطبقات غير القادرة،

وبعد

أكتفى بهذا القدر لأنقل وأخفف عنك بعض استعمالات نفس اللعبة "نعم" و"لكن" فى مجال آخر وليكن:

"فى مجال الحب"

(1) "نعم" أنا أحبك جدا جدا ، "لكن" أمى غير موافقه (المشكلة فى "ماما").

(2) "نعم" نحن نحب بعضنا فوق ما نتصور لدرجة المخاطرة بكل شئ و"لكن" هذا "حرام"

(3) "نعم" هو حرام قطعاً كما جاء فى البند (2) و"لكن" عندى فتوى تسمح بأن يهب كل منا نفسه للآخر بعض الوقت.

(4) "نعم" أنا أحبك الآن، و"لكن" على شرط أن تحبني أكثر جدا!!.

(5) "نعم" أنا لا أستطيع أن أعيش بدونك "لكن" يبدو أن هذا يبعدنى فى النهاية عنك.

الإيجابية من زاوية أخرى:

أرجو أن أزيد الأمر وضوحا عن الفرق بين الاستعمال السلبى والإيجابى لهذا التعبير فى مقال لاحق.

"ليس" كل "نعم... ولكن" هى للخداع والتزييف، ولا هى قاصرة على السياسة.

وإليك هذا المثال:

"نعم" ظروف الشعب المصرى أصبحت مثل النفط (زى الزفت) وهى من أصعب الظروف التى مر بها عبر تاريخه، "لكنه" شعب صبور مكافح، قادر عريق وسوف ينتصر فى النهاية!